

فصلية اللسان المبين (بحوث في الأدب العربي)
(علمية محكمة)

السنة الرابعة، المسلسل الجديد، العدد العاشر، شتاء ١٣٩١، ص ١٣٤-١٥٩

الشعر الوطني لدى محمود سامي البارودي وملك الشعراء بهار*

مجيد صادقي مزیدی
طالب الدكتوراه بجامعة اصفهان
منصوره زركوب
استاذة مشاركة بجامعة اصفهان

الملخص

تعرف العصر الحديث على التطورات الهامة في البلدين مصر وإيران، من أهمها النهضة الدستورية المشتركة التي انفتحت على العصرية والحياة الجديدة في البلدين، وانبثقت من هذه الحياة؛ حياة أدبية رائعة لم يشهدها البلدان من قبل، فأخذ الشعراء يواكبون مستحدثات عصرهم وتقدير مصير شعبهم. من أبرزهم؛ محمود سامي البارودي في مصر وملك الشعراء بهار في إيران. ففي خضم معترك الحياة السياسية والاجتماعية الجديدة طغت على أدبهما مضامين مستحدثة وبديعة، منها موضوع الوطن الذي ظهر في ذروة الموضوعات الدستورية للشاعرين وألقى بظلاله على حياتهما الأدبية. فاخص شعر الشاعرين بخصائص مختلفة تشترك في بعض المواقف بينهما.

وأما أهم ميزات الشعر الوطني التي يمتاز بها الشاعران فتأتي فيما يلي: اتخاذ أسلوب البياني المحافظ والنمط الأدبي القديم كطريقة ثابتة في قصائدهما الوطنية، والوحدة العضوية حيث شكّل الوطن لديهما موقفاً واحداً يسيطر على روح قصائدهما الوطنية، كما أعلن الشاعران آراءهما الوطنية في صراحة لكي يوجّجا الحس القومي وقد أكثرا في صرختهما من الجرأة والحماسة لاسيما في مواقف الفخر بالوطن والتذكير بغفلة الناس، وأما بالنسبة إلى الروعة التصويرية فيتميز شعرهما الحسى بالخيال التفسيري، و في مشاهداتهما النفسية غلب الخيال التأليفي أو الابتكاري على أشعارهما الوطنية. و في التطرق إلى الوطن الديني تأثر الشاعران بأفكار السيد جمال الدين الأسد آبادي و هي أن كل وطن يصمد أمام الجباية ويذود عن حريته واستقلاله واتحاده في المبادئ الدينية.

لقد اعتمد البحث على المنهج التوصيفي - التحليلي للشعر الوطني عند الشاعرين استكشافاً لتأثيرات النهضة الدستورية في كلا البلدين وأصدائها في شعر الشاعرين.

الكلمات الدليلية

محمود سامي البارودي، ملك الشعراء بهار، الأدب المقارن، الشعر الحديث، الميزات الوطنية.

تاريخ القبول: ١٣٩٢/٠١/٢٩

* - تاريخ الوصول: ١٣٩١/٠٧/٠٤

عنوان بريدالكاتب الإلكتروني: www.majid.sm39@yahoo.com

النهضة الدستورية بمعنى الحكومة القانونية تعريب لمصطلح constitution في اللغة الإنجليزية، تُعدّ هذه الحركة الحديثة نقطة انطلاقاً للتغييرات الجذرية في المجالات المختلفة السياسية والاجتماعية والأدبية في البلدين إيران ومصر وتكون النهضة الدستورية هي القاسم المشترك بينهما في عصرنا الحديث. يمتاز هذا العصر بأنه قرن البعث والنهوض السياسي والاجتماعي، فتفنن الشعراء في الأغراض المختلفة وشاركوا في الريادة الاجتماعية والسياسية ودعم النشاطات السياسية، فقامت الشؤون السياسية والأدب اتجاهاً جديداً وعبئاً الشعور القومي بأنبل ما يراه الرجل الوطني لوطنه.

كانت ثمرة هذه الحركة الكبيرة في البلدين ظهور شعراء أرادوا للشعر أفقاً لمصالح الناس والمجتمع فظهر الشعراء البارزون للذود عن آمالهم وطموحاتهم، ومن أبرز روادهم في الأدب الكلاسيكي؛ محمود سامي البارودي في مصر وملك الشعراء بهار في إيران. يقول محمد عويضة «كان ظهور البارودي إيداناً بتحرر الشعر العربي من أثقال القيود البديعية وغير البديعية التي رزح تحتها أجيالاً طويلة، فألهم البارودي النهج الصحيح لبعث الشعر العربي وتجديده بما أحدث من هذا التشابك بين حاضره وماضيه». (محمد عويضة. ١٩٩٤م: ٦١) كما اعتنى بالمسائل العصرية وفتح باب السياسة للشعراء و«إنه كان من أوائل الشعراء الذين تغنوا بمصر وأهلها وحرصوا على خيرها ونفعها إنه يمثل بشعره في مصر روح القومية الجديدة التي سرت في شعوب الأرض وجعلتهم يطالبون بالحرية والاستقلال». (الدسوقي. د. ت: ٤٩)

وكان ملك الشعراء بهار أيضاً من أوائل الشعراء الذين ألحوا على حركة التحرر فظهرت بوادر التجديد في شعره وأخذ يشارك الشعب في أحداث العصر، فيُعدّ من أبرز الشعراء في حركة البعث الأدبي والسياسي كما يقول أحد الباحثين إن «موقف الشاعر من المضامين الاجتماعية والسياسية إضافة إلى دعوته إلى سنن الشعراء القدماء جعل «بهار» في المكانة الأولى في شعراء العصر الحديث». (زرين كوب. ١٣٧٣ش: ٣٨٤)

من أهم الموضوعات التي تبلورت بصورة واضحة في أشعارهما الدستورية وكانت على رأس أولوياتهما؛ قضية الوطن وما يرتبط بها، فنشأ الشعر الوطني لديهما في مرحلة الانبعاث أو الكلاسيكية وأصبح هذا الموضوع نوعاً حديثاً في أدبهما، بحيث صار الحنين إلى الوطن لدى البارودي موضوعاً مستقلاً والعامل الحاسم يعود إلى نفيه من أجل الوطن كما صار الوطن لدى «بهار» أحد أهم موضوعين في أشعاره الدستورية، فقد أشار أحد الباحثين إلى نفس الموضوع قائلاً «إذا أردنا أن نصطاد موضوعين هاميين من البحر العظيم لشعربهار؛ فهما الوطن والحرية» (شفيعى كدكنى. ١٣٧٨ش: ٥٦)

١٣٦/ الشعر الوطني لدى محمود سامي البارودي وملك الشعراء بهار

فيعتبر الشاعران من كبار الشعراء الوطنيين في الأدب المصري والإيراني، لأنهما قد اطلعا على الأحداث التاريخية والتحولت السياسية لوطنهما «فكان البارودي أول من فتح أمام الشعراء المعاصرين أبواب الشعر الاجتماعي والوطني». (ضيف. ١٩٦١م: ١٨٦) كما يميز بهار «بأنه لم يكن شخصياً بقدر ما كان وطنياً قومياً يستهدف إقامة نظام شعبي لأبناء وطنه، فخصّص كثيراً من أشعاره بالموضوعات الوطنية وهذا أمر واضح جعله في ذروة الشعراء الوطنيين». (صبور. ١٣٨٢ش: ١٠٦)

إن هذا البحث موضوع يعالج في إطار الأدب المقارن، والأدب المقارن مفهوم حديث صار نوعاً من الدراسات الأدبية التي تتناول المقارنة بين أدبين أو أكثر ينتمي كل منهما إلى أمة أو قومية غير الأمة أو القومية التي ينتمي إليها الأدب الآخر، وفي العادة إلى لغة غير اللغة التي ينتمي إليها أيضاً، فتجاوَز اللغة الواحدة هي المسألة الوحيدة التي لاختلاف فيها بين المقارنين على اختلاف مدارسهم واتجاهاتهم. هناك ظهرت مدارس مختلفة للأدب المقارن ولها أسس ومنهجية ونظرية خاصة في دور الأدب المقارن، من أهمها وأبرزها المدرسة الفرنسية والمدرسة الأمريكية.

وأما المدرسة الفرنسية فتدرس علاقات التأثير والتأثر أو التبادل بين الآداب القومية، تشترط هذه المدرسة أن تكون هناك صلات تاريخية بين العمليين أو الظاهرتين أو الأدبيين أو بين الحضارات لدراسة الآداب ورصد التأثيرات. وقد أدّى هذا الأساس النظري إلى ظهور اتجاه ساد الأدب المقارن ما يربو على قرن وحواله إلى نوع من الدراسات الأدبية التي لا هم لها سوى تقصّي علاقات التأثير والتأثر بين الآداب القومية بهدف المساهمة في تاريخها (مكي، ١٩٧٧م: ٧٥).

وأما المدرسة الأمريكية فأتجهت إلى الاهتمام بدراسة الآداب المختلفة ولم يعد هدفها إكمال كتابة تاريخ الأدب القومي أو إثبات مدى إسهام قومية في آداب قوميات أخرى أو إثبات تشابه الظروف الاجتماعية الذي يؤدي إلى تشابه الآداب القومية بل أصبحت مقارنة جماليات النصوص الأدبية بين عدد من الآداب محور اهتمامات أصحاب هذا الاتجاه. من ثم تناولت المدرسة الأمريكية دراسة أدبين على الأقل على أساس من التساوي بينهما بعيداً عن علاقة التأثير والتأثر.

فالمنهج المقارن الأمريكيّ هذا هو المنهج الذي أتبعناه في البحث لعدم وجود علاقات التأثير والتأثر بين الشعراء نتيجة عدم وجود اتصال بينهما في تلك الفترة، وإن تشابهت مواقفهما المشتركة في كثير من المواقف السياسية والاجتماعية في عصر النهضة الدستورية.

بناءً على ذلك؛ حاول هذا البحث أن يلقي الضوء على قضية الوطن التي أصبحت في ذروة الموضوعات الدستورية لديهما واهتم بالطرق المتنوعة لها واعتمد على أهم المميزات الوطنية وأبرزها التي ذكرها الشاعران في ديوانيهما وحاول فيه تبيين تقارب هذه المميزات المشتركة. فبذلك يمكننا أن نتعرف على جوانب غير مدروسة لهذه الخصائص.

بما أن الشعر الوطني لدى محمود سامي البارودي وملك الشعراء بهار تضمن خصائص عديدة وتجسدت هذه الخصائص بصورة واضحة ومتنوعة في أشعارهما فالمقالة بصدد الإجابة عن السؤالين التاليين: الأول ما هو أبرز المميزات المشتركة الوطنية لدى الشاعرين؟ والثاني: أية ميزة من المميزات المشتركة الوطنية أصبحت أبرز عند الشاعرين ولماذا؟

و بما أن الشاعرين ظهرا في زمرة الشعراء السياسيين في العصر الحديث فقد اهتم عدة من الدارسين بالموضوعات السياسية لهما وتقويم أشعارهما من خلال الكتب أو المقالات. في البحوث المتعلقة بالبارودي نكاد لانجد دراسة مستقلة لأشعاره السياسية ولاسيما قضية الوطن، فهناك بعض البحوث التي ناقشت الموضوعات المختلفة متضمنة أحيانا موضوع الوطن. من الكتب التي تقف عند ظاهرة الوطن في شعر البارودي؛ كتاب «شعراء الوطنية في مصر» لمؤلفه عبد الرحمن الراجعي، تركّز اهتمام المؤلف على ذكر بعض النماذج من الأشعار الوطنية لأكثر من خمسة عشر شاعراً مصرياً وأتى ببعض النماذج الشعرية المشهورة للبارودي، وهناك كتاب آخر تحت عنوان «رواد الحركة الوطنية المصرية في التاريخ الحديث» لمحمود متولى، يذكر المؤلف فيه الحركة الوطنية المصرية ويركّز على البحوث التاريخية ولاسيما قضية الثورة العربية. ومن البحوث المنشورة في هذا المجال بحث عنوانه «الفتوة في شعر البارودي» فقد تطرق الباحث في بحثه إلى الصور المختلفة لفتوة الشاعر ضمن إشارات عابرة إلى موضوع الوطن، وكذلك مقالة أخرى عنوانها «محمود سامي البارودي والطبيعة المصرية» اهتم الكاتب فيه بوصف مصر ويصور مشاهد الجمال لبلده، مبيناً أن الشاعر حاول من خلال أوصافه لمصر أن يمزج بين هذه المشاهد والتأمل فيها.

أمّا بالنسبة إلى «بهار» فقد ناقشت جل الدراسات المقارنة فيه المضامين للوطن فحسب وقارن الباحثون بين الموضوعات السياسية التي ترتبط بالوطن. منها يمكن الإشارة إلى «دراسة صدى الحب إلى الوطن لدى بهار وطوقان» (سليمي وصالحى. ١٣٩٠ش: ٩٧-١٢٢) وكذلك بحث آخر عنوانه «دراسة مقارنة لمفهوم الوطن لدى بهار والرصافي» (محسنى نيا وداشن. ١٣٨٨ش: ١٣٣-١٥٥) اهتم الكاتبان فيها بالقضية الوطنية الدينية ضمن التفاتهما بالتراث وذكر المفاخر الماضية.

١٣٨/ الشعر الوطني لدى محمود سامي البارودي وملك الشعراء بهار

أما هذه المقالة فتحاول أن تقارن بين الشعر الوطني عند محمود سامي البارودي و ملك الشعراء بهار لأن للوطن لديهما حضوراً متميزاً و يبدو أنهما أدركا أن الاهتمام بقضية الوطن سيرتقى بالشعب إلى المرتبة الجديرة به، فلهذا يقوم البحث على المقارنة بين الشعر الوطني عند الشعراء، كما يبحث عن الميزات الوطنية التي تشترك بين الشعراء و يبين الطرق البيانية المتنوعة لها. انطلاقاً من هذا يختلف البحث عما قام به الباحثون قبل ذلك، لأن هذا البحث يركز على أهم المميزات المشتركة للشعر الوطني لدى الشعراء.

٢- مفهوم الوطنية

يدلّ مفهوم الوطن (national) في العصور المختلفة على معانٍ متعددة؛ منها مسقط الرأس، والعالم الإسلامي، وماشاكل ذلك، فما يبرز في هذه المعاني هو الصبغة الدينية وقلة دور الناس في مصير بلادهم. يدور معظم هذه المعاني حول الوطنية الدينية، إذ إنّ الوطن في العصور الماضية يقابل مفهوم الوطن الديني ويتجاوز الثغور الجغرافية وسبب ذلك يرجع إلى التوجهات الشعبية والحكومية إلى الوطن كما أحبب السيد جمال الدين أسد آبادي هذا المفهوم في العصر الحديث.

وأما الوطن ومفاهيمه فامتدت في العصر الحديث واختلفت عن المعاني السابقة وإن تضمنت تلك المفاهيم السابقة. «اقترب الوطن من مفهوم الأمة في هذا العصر وذلك ناجم عن تأثير الوطن بالتطورات السياسية والاجتماعية». (مسكوب. ١٣٧٩ش: ٩٤) كما يعنى الوطن في عصرنا الحديث «اندماج الهوية الإيرانية والهوية العربية والفخر بالآثار الماضية فالغرض من الوطن المعاصر هو المحافظة على استقلال الوطن والمحاولة في طلب حريته وعظمته». (قادرى. ١٣٨٣ش: ٧٢)

٣- نظرة على السيرة الذاتية للشاعرين

«ولد محمود سامي البارودي سنة ١٨٣٩م من أب جركسي؛ ذى جاه ونسب قديم؛ يرجع نسبه إلى إيتاي البارود بمديرية البحيرة». (كردعلى. ١٩٩٣م: ٣٨٩) تلقى الشاعر دروسه الأولى في البيت حتى بلغ الثانية عشرة ثم التحق بالمدرسة الحربية سنة ١٨٥٤م وهو في السادسة عشرة من عمره في عهد عباس الأول، ولما بلغ أشده تدرّج في المناصب الحكومية «وعندما ثار الجيش بقيادة عرابي ثورته المعروفة سنة ١٨٨٣م استعان توفيق بمساعدة الإنجليز ضد الوطن ولما أخفقت الثورة حُكم عليه بالنفى إلى سرنديب فظلّ بها سبعة عشر عاماً... وأخيراً صدر العفو عنه في سنة ١٩٠٠م فعاد إلى وطنه حتى توفي سنة ١٩٠٤م». (ضيف. د.ت: ٨٦)

ومحمد تقى ابن الميرزا محمد كاظم الملقب ببهار ولد سنة ألف وثلاثمائة وأربع هـ ق في مدينة مشهد؛ يعود نسبه إلى الصبورى، نال في سن الثامنة عشرة من عمره لقب ملك الشعراء من جانب مظفر الدين شاه (بهار. ١٣٨٠ش: ٢٥). إبان النهضة الدستورية اتجه الشاعر إلى مسائل بلاده ودخل السياسة بين السابعة عشرة والثامنة عشرة من عمره وواكب شعبه وأصبح عضوا سياسيا في زمنه «واعتقل نتيجة للنشاطات السياسية عدة مرات، ونفى من وطنه وفي المرحلة الأخيرة من عمره أعرض عن السياسة واهتم بالأدب والأمور الأدبية حتى توفي سنة ألف وثلاثمئة وسبعين هـ في السادسة والستين من عمره إثر مرض السل ودفن في مقبرة ظهير الدولة». (عابدى. ١٣٧٦ش: ٢٩).

٤- الميزات المشتركة لدى الشعارين

إنَّ الشعارين لم ينسيا ما يجرى في وطنهما فتناولوا الوطن بالأشكال المختلفة اللفظية والمعنوية، ومع ذلك لم يتنحاً لحظة عما كان يجرى حولهما لأنَّ قصائدتهما الوطنية كانت صدى لما حدث في بلادهما، فحاولوا أن يذكّرا شعبهما بأهمية الوطن في الزمن المعاصر، فتكوّنت لديهما الميزات المشتركة في التعبير عن موضوع الوطن، فنريد قدر المستطاع أن نعثر على هذه الميزات لكي نعثر على القواسم المشتركة في الثقافتين في البلدين المختلفين.

٤-١- الاتجاه البياني المحافظ

ارتقى الأدب في العصر الحديث إلى مرحلة الانتعاش على يد الشعارين الرائدتين لأنَّهما كانا في طليعة الشعراء المحدثين في أدبهما، فكلاهما عملا على بث الروح الشعرية القديمة والمحافظلة على الموروث الشعري مراعاةً للوظيفة الاجتماعية والسياسية للشعر. فقد اعتمد الشعاران في أشعارهما الوطنية على إحياء القيم القديمة وكان هذا الأسلوب البياني المحافظ وسيلة تعبير عن قضايا بلدهما ومشكلاتهما الوطنية، ووسيلة لتسجيل أحداث العصر. اتجه البارودى إلى الأسلوب القديم البعيد عن التهافت والتستبر بالمحسنات، وإنما المراد بالمحافظة اتخاذ النمط العربى المشرق وهذا النمط تمثله تلك النماذج الرائعة من الشعر التى خلفها قمم الشعراء في عصور الازدهار فأكد البارودى على نفس الموضوع قائلاً:

تَكَلَّمْتُ كَالْمَاضِينَ قَبْلِي بِمَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَكَلَّمَ

(البارودى. ١٩٩٨م: ٥٥٧/٢)

عندما يتحدث الشاعر عما جرى له في الحرب بين الروس والأتراك، يستخدم بعض الصور القديمة والألوان البدوية في التعبير القديم، لقد عاد البارودى وهو في قلب أوروبا إلى دنيا البادية وعالم الصحراء لتظهر معها المهامه والمطواح، وحيرة القطا وعبث الجن السارحة في أرجائها النائبة بين ظلماتها ثم ينتقل مع هذا الجو البدوى إلى المعركة التى يخوضها،

١٤٠/ الشعر الوطني لدى محمود سامي البارودي وملك الشعراء بهار

فيصفا وصفا تختلط فيه الصور التراثية مع الصور المعاصرة كأنه انعكاس لاختلاط المتحاربين من الفريقين والتحامهم، فنرى المشهد الحربي في صورته البدوية التي نعرفها في الشعر القديم فيقول طال النوى وتباعدت المفازة البعيدة وأنه صار في أرض مخيفة وهذه الصحراء الواسعة القفرة بعيدة بحيث يهلك سليك بن يثربى من عدوه فيها كما أن هذه الأرض قدلبست جبالها من السحاب ما يشبه فروة السمور واضطربت مسائلها بتبار المياه الطاغية المجتمعة من الأمطار الجارية في الأودية وذلك في قوله:

لَعَمْرِي لَقَدْ طَالَ النُّوَى وَتَقَادَفَتْ مَهَامِهِ دُونَ الْمُلتَقَى وَمَطَاوِحُ
وَأَصْبَحَتْ فِي أَرْضٍ يَحَارُ بِهَا الْقَطَا وَتَرَهَّبُهَا الْجَنَانُ وَهِيَ سَوَارِحُ
بَعِيدَةٌ أَقْطَارِ الدِّيَامِيمِ لَوْ عَدَا سُلَيْكُ بِهَا شَاوَأً قَضَى وَهُوَ رَاوِحُ
تَرَدَّتْ بِسُمُورِ الغَمَامِ جِبَالُهَا وَمَا جَتِ بِتِيَّارِ السُّيُولِ البَطَّائِحُ

(البارودي. ١٩٩٨م: ١٠٥/١)

كما استطاع أن يسجل بعض الأحداث التي وقعت بعيداً عن وطنه، فهو يعبر عن تجربة البعد عن الوطن، والحنين إلى الأهل والأحباب، أيام كان بعيداً عن مصر، فعندما يذكر مصر بجزئياتها التي تدل على حب الوطن وهو في المنفى يستخدم الألفاظ المعروفة في شبه الجزيرة العربية ليدكرنا باتخاذها الأسلوب القديم، فأخذ الشاعر هذه الصور والألوان العربية القديمة على أنها رموز للتعبير عن معالم نفسية ومادية جديدة، فانظر إلى الشاعر حين يقول متشوقاً إلى مسارح شبابه، وأنسه بمصر قائلاً:

أَيْنَ لِيَالِينَا بُوَادِي الغَضَا ذَلِكَ عَهْدٌ لَيْتَهُ مَا انْقَضَى
كُنْتُ بِهِ مِنْ عَيْشِي رَاضِيَا حَتَّى إِذَا وَلَّى عَدِمْتُ الرَضَا

(البارودي. ١٩٩٨م: ٧١١/٢)

اتخذ البارودي «وادي الغضا» وهذا رمز لأعز الأماكن على نفسه في مصر، وبديهي أنه لا يريد وادي الغضا بمعناه الحرفي، هذا المكان المعروف بشبه الجزيرة العربية، وإنما يريد باستخدام هذا الاسم بالذات، استغلال ما فيه من ظلال نفسية وشحنات عاطفية، خلعها عليه الشعر القديم، والاستخدام العربي السالف، وقد لاءم ذلك ما كان من الشعور المسيطر في تلك الفترة، وهو الشعور إلى ماضي العرب ومجدهم، والتعلق بكل ما يتصل بهم.

أو عندما كان الشاعر في سرنديب يبرز شوقه إلى الوطن ويستخدم الصور القديمة في حبه للوطن فيخاطب وطنه كمحبوبته التي يتغزل بها ويتمنى لقاءها ليستمتع بالنوم الهنيء بعد معاناة الأرق والسهاد من طول الفراق وفي الحقيقة يريد لها رخاء البال وصلاح الحال وهو في الحقيقة يتغنى بمصر ويصو إليها فيخاطبها بريحانة العصر ويقول:

عَائِدٌ بَكَ يَا رِيحَانَةَ الزَّمَن؟ فَيَلْتَقِي الْجَفْنَ بَعْدَ الْبَيْنِ وَالْوَسْنِ
أَشْتَاقُ رَجْعَةَ أَيَّامِي لِكَاظِمَةِ وَمَا بِي الدَّارُ لَوْلَا الْأَهْلُ وَالسَّكْنُ

(البارودي، ١٩٩٨م: ٢/٤٣٥)

لا يفرق هذا الاتجاه في حنينه إلى الوطن أو المواقف الأخرى، فهو يتابع أسلوب الشعراء القدامى ويلح في كل الظروف السائدة على هذا الأسلوب في شعره الوطني ويسعى ألا يحد عن هذا الاتجاه الكلاسيكي.

وعندما ندقق في أشعار «بهار» الوطنية نجد تأثر الشاعر بالأساليب السالفة «فهو في أشعاره يحافظ في جميع الأحوال على السنن القديمة وأساليبها ويتكلم بالأسلوب القديم». (عابدی. ١٣٧٤ش: ١٣٢) فطريقته انعكاس لمرحلة الأدب الخراساني الذي يقترب من العصر العباسي، لأن هذا العصر عصر ازدهار الأدب، فاتسم الشعر بالجزالة والمتانة وأنجبت هذه المرحلة الأدبية أشعاراً فذة تميزت بالأصالة الشعرية الفارسية، يعتبر بهار خاتم الشعراء في قالب القصيدة «فإنه نجح في توظيف القصيدة القديمة ومن الممكن أن نعده خاتم الشعراء الذين أنشدوا في قالب القصيدة في الأدب الفارسي». (شفيعی كدكنی. ١٣٧٨ش: ٧٩)

إنه أدرك قيمة الأدب القديم بأبعاده المعنوية واللفظية فغلب التوجه نحو التراث الفارسي على شعره الوطني واستحضر معطيات العصور الماضية وبيّن ما كان في جوانبه من التراث وتقديمه في إطار مضامين عصره. فالشاعر عندما يذكر الوطن ويفتخر به يقول:

خطه ايران منزلگه شیران که خداش نام پیروزی بنگاشته بر هر سر سنگ
کشوری جای مه آبادی وشاهان مدی مهترانی چو کیامرز وچو آذر هوشنگ
(بهار. ١٣٨٠ش: ٢٨٤)

أى: (إيران منزل الرجال الشجعان الذى جعله الله مهبط الظفر والنصرة وتعدّ من أحسن البلاد نصرةً وحضارةً حلّ فيها الأكابر والسادة ككيامرز وآذر هوشنگ)

فقد استخدم بهار الألفاظ القديمة في شعره كـ «خداش»، «شاهان مدى»، «مهتران» كما عبّر عن فخره بالرجال الباسلين في الصورة التشبيهية القديمة وأخذ من الأسود صوراً للشجاعة و البطولة وهذا التصوير يوضح لنا التصوير البلاغى القديم. أو عندما يريد أن ينبه الشعب إلى القضايا الوطنية؛ يذهب مذهب القدماء في قولهم السائدة، فهو في قصيدة يذكر مكانة الوطن ويقول إن الملك والبيت والأهل وقيمة الانسان كل ذلك يرتبط بالهوية الوطنية ولا قيمة له إلا بالوطن، فقد اعتمد بهار في هذه الأشعار على صورة واحدة وجزئية كثرت عند الشعراء القدامى إنه يجعل للوطن مكانة سامية وبيّن أن قيمة كل شيء ترجع إلى الوطن ويكرر هذا المعنى في الأبيات المتوالية و يسترجع هذه الأوجه في شعره التي ظهرت عند الشعراء القدامى فينشد قائلاً:

١٤٢/ الشعر الوطني لدى محمود سامي البارودي وملك الشعراء بهار

بذل جان در ره ناموس وطن چیزی نیست بی وطن خانه و ملک و سر و تن چیزی نیست
بی وطن منطق شیرین و سخن چیزی نیست بی وطن جان و دل و روح و بدن چیزی نیست
بی وطن جان و دل و روح و بدن در خطر است ای وطن خواهان زنهار وطن در خطر است
(نفس المصدر: ١٠٣)

أى: (افتداء النفس والمال من أجل الوطن شيء ضئيل ولا قيمة للملك والنفس إلا به، واعلموا أن النفس والمال في معرض المهالك وما يهم هو الوطن والعناية به، فيا محامي الوطن اهتموا بالوطن وقضاياها، وتنبهوا أن الوطن أمت به الخطوب و المخاطر المهلكة) فيؤكد الشاعر على هذه الثقافة الوطنية في ضوء الاتصال بالثقافة القديمة ويصرح بذلك في مواقف مختلفة؛ معتقداً أن الاهتمام بالثقافة الوطنية هو الذي يرشد الناس ويحفظهم في كل المخاطر والمهالك قائلاً:

در ره فرهنگ و آیین وطن غفلت موز ملک بی فرهنگ و بی آیین درختی بی بر است
رونق فرهنگ دیرین رهنمای هر دل است اعتبار دین و آیین پاسبان هر در است
(نفس المصدر: ١٠٨)

أى: (ایها الشعب لا تغفلوا عن الثقافة المتأصلة الإيرانية وتقاليدها، فالملك دون الثقافة كالشجر دون الثمار. واعلموا أن إحياء القيم الفارسية الأصيلة يهدى كل رجل وطني هائم كما أن التجربة الدينية والعودة إلى الموروث التاريخي والأدبي تحفظنا من كل الرزايأ والمشاكل)

٤-٢- الصراحة الوطنية

يعتبر شعر الشعراء صورة واضحة لحياتهما وبيئتهما، فالشاعران على الرغم من استخدام العناصر التقليدية والاحتفاظ بها؛ يصوران الهواجس الوطنية في صداقة وصراحة، وتعد هذه الصراحة في التعبير من الميزات البارزة في شعرهما الوطني.

كما يصرح البارودي بقيمة الوطن ويجعل له مكانة هامة في موضوعاته السياسية، ويقول إن الدفاع عن الوطن لا يقل عن أهمية الدفاع عن الدين ويقول:

فَهَلْ دَفَاعِي عَنِ دِينِي وَعَنِ وَطَنِي ذَنْبٌ أَدَانُ بِهِ ظَلَمًا وَأَغْتَرِبُ

(البارودي. ١٩٩٨م: ٧٣/١)

ويخاطب مصر بصراحة ويمدحها ويدعو لها ويذكر سر هيامه بوطنه، لأنها حمى قومه ومجمع أهله وملعب أقرانه:

فِيَا مِصْرُ مَدَّ اللَّهُ ظِلَّكَ وَارْتَوَى تَرَاكَ بِسَلْسَالٍ مِنَ النَّيْلِ دَافِقٍ
فَأَنْتِ حِمَى قَوْمِي وَمَشْعَبُ أُسْرَتِي وَمَلْعَبُ أْتْرَابِي وَمَجْرَى سَوَابِقِ

(نفس المصدر: ٣٧٧/٢)

من ثم يبحث عن آمال وطنه ويستنجد أمته مطالباً بالشعور الوطني في وضوح وصراحة يدركها كل من تهمة قضايا الوطن، فيسخط على الحالة السياسية والمالية في عصر اسماعيل توفيق في قوله:

قامت به من رجال سوء طائفة أدهى على النفس من بؤس على ثكل
ذلت بهم مصر بعد العز واضطربت قواعد الملك حتى ظل في خلل
(نفس المصدر: ٤٦٧/٢)

وينادي الشاعر بالعدل ومقاومة الظلم وأسبابه ويدعو أهل الحقائق إلى الإباء وعدم الرضوخ للذل وينبههم إلى مواصلة الكفاح والنضال لتحقيق المقاصد وبلوغ الآمال:

إذا المرء لم ينهض لما فيه مجده قضى وهو كل في خدور العوائق
وكيف يكون المرء حراً مهذباً ويرضى بما يأتي به كل فاسق
ولكنني ناديت بالعدل طالباً رضا الله واستنهضت أهل الحقائق
(نفس المصدر: ٣٨٦/٢)

يصور «بهار» أيضاً التصوير الحقيقي لوطنه ويحبه حباً فائقاً حيث جعل له المكانة الأولى في موضوعاته وأغراضه الشعرية، فيبين الحياة الواقعية لشعبه ويجسد الوطن بأشكاله المختلفة، إنه خادم وطنه وأمير الكلام في عصره كما يقول إنه ينشد للوطن طيلة عمره:

وطنياتي با ديدة تر مى گويم با وجودى كه در آن نيست اثر مى گويم
تارسد عمر گرنامه به سر مى گويم بارها گفته ام و بار دگر مى گويم
من كه ديرينه خادم وطنم پادشاه ممالك سخنم

(بهار. ١٣٨٠ ش: ٣٤٥)

أى: (أنشد أشعاراً وطنيةً بعيون باكية موقناً أنها لا تؤثر على الآخرين، أنشدتها وأكرر مراراً حتى أرحل عن الدنيا لأننى خادم الوطن طيلة حياتى وأشتهر بأننى أمير الكلام فى بلادى) أخذ «بهار» يمزج الوطن بعقائده الدينية، ويرتفع بقيمة الولاء للوطن ويجعل منها قيمة مقدسة، فيعتبر الإخلاص له ضرباً من الإيمان، فمن ميزات هذه الظاهرة الوطنية الدينية وضوح إبداء رأيه، وذلك فى قوله:

هر كه را مهر وطن در دل نباشد كافر است معنى حب الوطن فرموده بيغمبر
است (نفس المصدر: ١٢٤)

أى) من لا يحب وطنه ولا يعشقه فهو زنديق وهذا المعنى هو الذى أمر به الرسول الأعظم (ص)

فيتمنى له النضارة والرقى ويحرص على المدينة الفاضلة لبلده:

۱۴۴ / الشعر الوطني لدى محمود سامي البارودي وملك الشعراء بهار

آباد شود كشور دارا و آراسته گردند و باندام و خوش آيند
هر شهر شود كشور و هر قريه شود شهر هر سنگ شود گوهر و هر زهر شود قند
(نفس المصدر: ۱۸۲)

أى: (أتمنى الفخر والعزة للوطن وأرجو له الجمال والرخاء والسعة كما أتمنى أن تتحول
القرى إلى بلاد كبيرة ووسيعه و تتمن الأشياء التافهة فى هذا البلد كما أرجو أن يتحول السم
إلى السكر)
فيعلن آراءه الوطنية وتصويرها فى صراحة فى المواضيع المتعددة لكى يؤجج الشعور
القومى، إذن يذم الحكام المستبدين ويأخذ عليهم عدم مبالاتهم بالوطن كما يندد شعبه
بالتلاعب والتطرق إلى أمور تافهة غير وطنية:
صد سال فزون رنج كشيديم وملامت گشت ايران ويران وشد آباد ده رى
شاهى است در اين شهر كه جز زر نشناسد خلقى كه ندانند به جز جنگ ودف و نى
(نفس المصدر: ۳۹۲)

أى: (صبرنا على ظلم الحكام و لومتهم مدة طويلة فأدى هذا الأمر إلى ضياع الوطن
وأصبح بلداً متخلفاً معدوماً لأن الحاكم اهتم بالمسائل المادية وتغلغل فى الرفاهية كما اشتغل
الناس بالتلاعب والتهاوت وتطرقوا إلى الشؤون الدنيوية السخيفة)
ويخاطب الفتيان والشعب الإيراني ليبدلوا جهودهم فى سبيل تحرير الوطن فيحرك أنفسهم
ويمهد الأذهان للكفاح والدفاع عن وطنهم، فانظر كيف يقول:
كجاست آن كه جوانمردى و فضيلت را به ياد مردم درمانده عوام دهد
كجاست مرد جوانمرد كه شمشير دادخواهى را زقلب ظالم بيدادگر نيام دهد
وطن به چنگ لثام است كو خردمندی كه درس فضل و شرافت بدین لثام دهد
(نفس المصدر: ۱۷۴)

أى: (أين الغيور الذى يُعلم أبناء شعبه الأميين خصالاً سامية كالفتوة والفضيلة، وأين الرجال
الشجعان الذين يصمدون أمام الجبايرة الظالمين بسيفهم الماضية. الوطن فى أيدى الأَشقياء،
فأين الرجال ذوو الألباب حتى يقاتلوا الأعداء ويهذبوهم بالفضائل الأخلاقية والمُثل
الإنسانية)
لم يكن الشاعر يستطيع أن ينعزل عن هواجس الوطن فلذلك يستمد من العناصر المختلفة،
فيذكر مجد إيران والقيم النبيلة عند القدماء ليحض الناس لأن أمجاد الماضين كانت موضع
التفاخر:

مگذار اين وطن زدست شود وين نژاد قديم پست شود

كأين وطن مهد علم و عرفان است جأى باكان و رادمردان است

(نفس المصدر: ٩٧)

أى (أيها الوطنى؛ حافظ على الوطن و موروثه الباهر لئلا يُضَيِّعَ وطننا المتأصلُ إذ هذا الوطن كان مهبط العلماء والأدباء وحلّ فيه الفضلاء والكبراء القدامى)

كما يعلل بؤس بلاده وضعفها ويعتقد أنّ العامل الهامّ يرجع إلى استبداد الحكام وعدم عنايتهم بالعدالة والمساواة فى الحكومة:

جم در آغاز شهى بگرفت راه رسم و داد ليك در آخر به استبداد و خودرأى فتاد
هم در استبداد شد تا ملك خود بر باد داد آرى آرى ملك از استبداد خواهد شد به باد

(نفس المصدر: ١٩٥)

أى: (اتخذ الحاكم المسمى بـ«جم» العدالة كطريق سديد إبان حكومته ولكنه زلّ عن طريقته واستبد فى أخريات عمره فأدى هذا الأمر إلى ضياع الملك. نعم إن الاستبداد والعنجهية يفسد الحكومة والأمانة)

فكان الوطن والمشاكل المرتبطة بها هو الذى أدى إلى الصراحة الوطنية عند الشعاعين، فأصبحت هذه القضية باعثةً

على نفههما لأنّ المستعمرين أيقنوا خطورة هذه الصراحة البيانية فى شعرهما فنفوهما من بلادهما إلى بلاد أخرى.

٣-٤- الوحدة العضوية

يقصد بالوحدة العضوية فى القصيدة تلاحم الأبيات الشعرية داخل القصيدة الواحدة و ترتبط أبيات القصيدة ببعضها الآخر، حيث يصبح البيت الشعرى جزءاً متصلاً بالأبيات الأخرى. هذه الميزة من مميزات القصيدة المعاصرة التى عرفتها المدارس الحديثة ومن أهمها المدرسة الرومانسية حيث ظهرت الوحدة العضوية على يد زعيمها خليل مطران وتعتبر فى النقد الحديث من الموضوعات الجديدة التى تشف عن جماليات القصيدة من خلال وحدة الباعث الشعورى، يرى محمد غنيمى هلال أنّ الوحدة العضوية مزيج من وحدة الموضوع ووحدة المشاعر قائلاً: «ونقصد بالوحدة العضوية فى القصيدة وحدة الموضوع ووحدة المشاعر التى يثيرها الموضوع». (غنيمى هلال. ١٩٨٢م: ٣٩٤)

هذه الميزة نقطة مشتركة أخرى تجلت فى شعر الشعاعين، فهما فى أشعارهما الوطنية تطرقا إلى موضوعات مختلفة تدور حول الوطن، فالوطن هو المحور الرئيسى فى هذه القصائد. نظم البارودى عينية طويلة تتضمن خمسين بيتاً سنة ١٨٦٨م بعد عودته من حرب كريت يستهلها هكذا:

مَتَى أَنْتَ عَنْ أَحْمُوقَةَ الْعَيِّ نَازِعٌ وَفِي الشَّيْبِ لِلنَّفْسِ الْأَبِيَّةِ وَازِعٌ

١٤٦/ الشعر الوطني لدى محمود سامي البارودي وملك الشعراء بهار

(البارودي. ١٩٩٨م: ٣١٥/٢)

يمكن ملاحظة الموضوعات المختلفة في هذه القصيدة الطويلة؛ يذكر الشاعر مآثر الماضين، ويندد الحكام المستبدين، وينصح الناس، ويحرضهم على قضايا مجتمعتهم. الأمر الذي اندفع إلى الشعور الواحد والفكرة الواحدة؛ هو العكوف على الوطن وشؤونه فيمكن «ملاحظة الوحدة الموضوعية والتجربة الشعورية في العديد من قصائد البارودي وهي تجربة لاتزال أبياتها تتولد في نفسه متلاحقة بيتاً تلو بيت حتى تتم القصيدة صورة لنفسه ومشاعره». (كرد على. ١٩٩٣م: ١٦٤) أو في قصيدة دالية أخرى يفخر بنفسه وقومه ويعرض بالمظالم على عهد الحكومة الاستبدادية لخديوي اسماعيل في أواخر أيامه. فلما فسد حكم اسماعيل وأثقل مصر بالديون، يبدأ الشاعر قصيدته قائلاً:

رَضِيْتُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا لَا أُوَدُّهُ وَأَيُّ أَمْرٍ يَقْوَى عَلَى الدَّهْرِ زَنْدُهُ
أَحَاوِلُ وَصَلًّا وَالصُّدُودَ خَصِيمُهُ وَأَبْغَى وَفَاءً وَالطَّبِيعَةَ ضَدُّهُ

(البارودي. ١٩٩٨م: ١٢٣/١)

يذكر البارودي في هذه القصيدة؛ الظروف السيئة في الثورة العربية حيث غدر الكائدون للوطن والأصدقاء الخائنون، يشتمل شعره على صرخاته من خيانة الأصدقاء وظلمهم ويطرد على اضطرادهم بعد هزيمة الثورة العربية وينددهم فيقول لأرى صديقاً وفيّاً يبقى عهده وصدافته في قوله:

فَأَيُّ نَعِيمٍ فِي الزَّمَانِ أَرُومُهُ؟ وَأَيُّ خَلِيلٍ لِلْفَوَاءِ أَعْدُهُ
فَمَنْ لِي بِخَلِّ صَادِقٍ أَسْتَعِينُهُ عَلَى أَمَلِي أَوْ نَاصِرٍ أَسْتَمِدُّهُ؟
صَحِبْتُ بَنِي الدُّنْيَا طَوِيلًا فَلَمْ أَجِدْ خَلِيلًا فَهَلْ مِنْ صَاحِبٍ أَسْتَجِدُّهُ

كما ينبه الشعب إلى العزة والفخر في أمورهم وبيت فيهم روح الحمية الوطنية حيث تغلبت عليها روح الحماسة وعزة النفس ثم يواصل قوله بالتروى والتعقل في تدبير شؤون البلاد وصيانة حقوقهم ومصالحهم فانظر إلى قوله:

وَحَسْبُ الْفَتَى مَجْدًا إِذَا طَالَبَ الْعُلَا بِمَا كَانَ أَوْصَاهُ أَبُوهُ وَجَدُّهُ
فَإِنْ عَاشَ فَالْبَيْدُ الدِّيَامِيمُ دَارُهُ وَإِنْ مَاتَ فَالطَّيْرُ الْأَضَامِيمُ لَحْدُهُ
تُدَبِّرُ أَحْكَامَ الطَّعْمَانِ كُهُولُهُ وَتَمْلِكُ تَصْرِيفَ الْأَعْنَةِ مُرْدُهُ

فكل هذه الأبيات حول القضايا المختلفة تدور حول موضوع الوطن. تجدر الإشارة إلى إمكان مشاهدة هذا الموقف الشعوري الوطني في قصائد كثيرة أخرى في ديوان الشاعر كقصيدة «قافية» مطلعها:

«أ سليلة سيف أم عقيقة بارق أضاءت لنا وهناً سماوة بارق»

(نفس المصدر: ٣٨٥/٢)

يحن الشاعر في هذه القصيدة إلى الوطن ويشكو غربة النفي الناجمة من وطنيته ويشير إلى بعض حوادث الثورة العراقية ويدعو لمصر، تنحو كل هذه الأغراض نحو الوتيرة الواحدة والقضية الثابتة وما هي إلا الوطن وموضوعاته. لما أنه لا مجال لنا لذكر كل القصائد فنكتفي بذكر بعض القصائد فحسب، منها قصيدة مطلعها:

«لأى خليل في الزمان أرافق وأكثر من لاقيت خبّ منافق»

(نفس المصدر: ٣٧٤/٢)

أو قصيدة أخرى يبدأ مطلعها:

«أ ضوء شمس فرى سربال ديجور أم نور عيد بعقد التاج مشهور؟»

(نفس المصدر: ٢١٢/١)

أما بالنسبة إلى «بهار» فقد كثرت الموضوعات السياسية والاجتماعية حول الوطن عنده بحيث تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية في العلاقة بين الموضوعات المتعددة والوطنية التي ترتبط بين الأبيات، فيشكل الوطن موقفاً واحداً يسيطر على روح القصيدة الوطنية في شعره. ذكر الشاعر أيضاً القضايا المختلفة لعصره في غالبية القصائد التي تحقق الوحدة العضوية ضمن عدة موضوعات تأتلف وتتحد، ويكتفي في بعض قصائده بموضوع الوطن فحسب، كقصائد «كار ايران باخداست» و«وطن در خطر است» و«اي وطن من» و... .

يدعو «بهار» في كثير من القصائد أبناء شعبه ويحرضهم وينصحهم كما ينههم إلى موروثهم والتاريخ الباهر لإيران مضافاً إلى العوامل المنهارة للوطن كعجبية الحكام وتدخّل الأجانب في أمور البلاد، فغالب قصائده يستوعب القضايا الوطنية بأبعادها الوسيعة وترجع الفكرة البناءة إلى الوطن، أو في قصيدة مسماة بـ«پیام ایران» يلعب الوطن دوراً فاعلاً في تحقيق هذه الوحدة، فتستهلّ القصيدة بهذا المطلع:

«بهوش باش كه ايران ترا پیام دهد ترا پیام به صد عز واحترام دهد»

(بهار. ١٣٨٠ ش: ١٨٨)

أى (أيها الإيراني تنبّه أن إيران تناديكم بالعزة والمنعة والإباء)

تتشارك موضوعات هامة في هذه القصيدة بالموضوعات الشعرية لدى الشاعر المصري البارودي؛ فملك الشعراء بهار في هذه القصيدة يعتقد أن للناس ركناً هاماً في تقرير شؤونهم، فيخاطبهم بصور مختلفة؛ حيناً ينصحهم وحيناً آخر يأخذ عليهم بغفلتهم للأمر كما أنه يهتم بشؤون الحكام والرؤساء و يجعلهم محوراً هاماً لموضوعاته الشعرية. وفي قصيدة أخرى مسماة بـ«مرغ اسير» يجد فيها القارئ لشعره طابعاً تجديدياً بارزاً يتمثل في الشعر

١٤٨/ الشعر الوطني لدى محمود سامي البارودي وملك الشعراء بهار

الوطني؛ وهو الوحدة التي يتمثل فيها الوطن والحديث عنه بمفهومه السياسي والحضاري، فيبدأ مطلعها هكذا:

«من نگويم كه مرا از قفس آزاد كنيد قفسم برده به باغي و دلم شاد كنيد»

(نفس المصدر: ١٩١)

أى (لا أقول أطلقوني السراح بل دعوني والسجنَ واذهبوني إلى حديقة نضرة خضراء لكي أصبح مسروراً)

تربط الأبيات في هذه القصيدة بعضاً ببعض ارتباطاً عضوياً يشترك جميعها في قصيدة ذات وحدة عضوية وشعورية، فتكون القصيدة في مجملها بمثابة عقد انتظمه خيط واحد وهو الوطن، ومن الممكن مشاهدة هذه الوحدة في قصائد أخرى كـ «آمال شاعر» و«آواز خدا» و«سكوت شب» و«اندرز به شاه». فارتبط «بهار» بين هذه القصائد كلها والوطن وقضاياها وعبر عن الشعور الواحد الوطني والفكرة الوطنية.

فمما يتضح من خلال ميزة الوحدة العضوية في قصائد الشاعرين؛ أنها وحدة يمكن إدراكها عند النظر إليها نظرة عامة تعترف بوجود أجزاء في القصيدة بحيث يؤدي كل جزء منها بدوره في الشعر.

٤-٤- الروعة التصويرية

اتسم الشعر الوطني لدى البارودي و«بهار» بتصوير المشاهد الوطنية تصويراً ينبض بالحركة والحيوية الدافقة وهذا لا يختص بالمشاهد الحسية وحدها بل نقصد أيضاً المشاهد النفسية، إذ استطاع الشاعران أن يرسم ما يجري حولهما تصويراً دقيقاً بتفاصيله.

يتميز الشعر الوطني للشاعرين في مشاهدتهما الحسية بالخيال التفسيري وهذا نوع من الخيال فيه «يقف الشاعر على إبراز عناصر الجمال في العالم الخارجي في الصور الشعرية ويستخدم اللغة لتثير مشاعر القارئ ويحرّضه على الانفعال بتلك الصور، وهذا خير وسيلة لوصف الطبيعة وصفاً أدبياً في العناصر التي تمثل الجمال». (الشايب. ١٩٨٨م: ٢١) وأما في مشاهدتهما النفسية للوطن فيغلب الخيال التأليفي أو الابتكاري، في هذا النوع من الخيال «يتأمل الشاعر حوله ويقف على ما فيه من مؤثرات وصور تثير النفس وتبعث فيها مشاعر كالحزن والفرح والغضب تسترعى اهتمامه بها». (نفس المصدر: ٢٢)

حينما يصف البارودي الآثار المصرية يجعل أمامنا تصويراً بارعاً كأننا نشاهد رسماً جميلاً و«هو أول شاعر لفت الأنظار إلى هذه الآثار وكانت ريادته لهذا اللون فتحاً لمن تبعه من الشعراء» (الدسوقي. د.ت: ٢٠٥/١)

سَلْ (الجيزة) الفِحاءَ عن هَرَمِيْ مصرَ لعلَّكَ تَدْرِي غيبَ ما لم تكن تَدْرِي

بِنَاءِ ان رَدًّا صَوْلَةَ الدَّهْرِ عَنْهُمَا وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ يَغْلِبَا صَوْلَةَ الدَّهْرِ
أَقَامَا عَلَى رُغْمِ الْخُطُوبِ لِيَشْهَدَا لِبَائِيهِمَا بَيْنَ الْبَرِيَّةِ بِالْفَخْرِ
(البارودي. ١٩٩٨م: ٢٢١/١)

يرى الحديدي «أن اعتماد البارودي على حواسه في شعره صفة بارزة فيه الحركة، وعندما يسجل الصور لم يكن يسجلها في صمتها وسكونها». (الحديدي. د.ت: ٣٥٧)

ولعل أجمل المشاهد النفسية الوطنية هو تصوير حنينه إلى وطنه بحيث أصبح موضوعاً بارزاً في ديوانه، فحزنه العميق للوطن يصعد من صميم جوانحه إذ «إن الطبيعة المصرية في شعره كانت حزناً عميقاً من الحياة التي تقلبت بين أحضان الوطن ووحشة المنفى وهذه الطبيعة تفصح عن معنى الوطن والتعبير عن الحياة الجياشة لديه». (أبوسنة. ١٩٩٩م: ٤) فهو عندما كان في المنفى و يعيش في سرنديب يتشوق إلى مصر ويذكر حبه لها. يلجأ الشاعر في سرنديباته إلى تصوير شغفه إلى مصر في العزة والمنعة والإباء فهو شبه حرقه شوقه إلى وطنه بغلة الظمأ تتمشى في حنايا الإبل التي طال انقطاعها عن الماء وتتمنى لو أصابت منه شيئاً تنقع به أكبادها الحرى ويصور لنا عذابه وأساه فيرى الغيث يعم جميع البقاع بينما مكان رحله وموضع مسكنه لا يسقط فيه أى رشاش ويتمنى جرعة من جدول النيل يروى بها كبده ويبل عظامه، فكأنما تحولت غربته عن وطنه جحيماً لا يطاق عذابه فهو يصل الأنين بالأنين ويبث لواعجه التي يتلظى بها قلبه فانظر إلى قوله:

مَتَى تَرُدُّ الْهَيْمُ الْخَوَامِسَ مَنَهَلًا تَبِلُّ بِهِ الْأَكْبَادُ وَهِيَ عَطَاشُ
أَرَى الْغَيْثَ عَمَّ الْأَرْضَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَمَوْضِعُ رَحْلِي لَمْ يُصْبِهِ رَشَاشُ
فَهَلْ نَهَلَةٌ مِنْ جَدَاوِلِ النَّيْلِ تَرْتَوِي بِهَا كَبْدٌ ظَمَانَةٌ وَمَشَاشُ

(البارودي. ١٩٩٨م: ٢٩٢/١)

كما يصور الوطن تصويراً عاطفياً وذلك غلب على شعره في أواخر شيخوخته التي طال فيها النفي، ولعل أكبر مشهد نفسي عاشه هو مشهد غربته في سرنديب وحنينه إلى وطنه، فالبارودي يرسم لنا تصويراً عاطفياً منبعثاً من جوانح أليمة، هو يصف مشهداً لمصر وصفاً قويا يجعله حياً ناطقاً كله النشاط والحركة ولقد أنشد الشاعر الأشعار التالية وهو في المنفى فإذا روضة المنيل وهي من المدن الجميلة المصرية صورة منظورة يرسمها رسماً مصوراً بارعاً، فيصف مناظر روضة المنيل وما أحاط بها من البيوت الجميلة حول شاطئ النيل في الصور الساذجة الجميلة فيقول:

لَيْتَ شِعْرِي مَتَى أَرَى رَوْضَةَ الْمَنَى بَيْلَ ذَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ
قَدْ أَحَاطَتْ بِشَاطِئِهِ قُصُورٌ مُشْرِقَاتٌ يُلْحَنُ مِثْلَ الْقَبَابِ
مَلْعَبٌ تَسْرَحُ النَّوَاطِرُ مِنْهُ بَيْنَ أَفْنَانِ جَنَّةٍ وَشِعَابِ

١٥٠/ الشعر الوطني لدى محمود سامي البارودي وملك الشعراء بهار

(نفس المصدر: ٦٩/١)

وتمتع «بهار» كالبارودي بالقدرة التصويرية للوطن، فهو أيضاً وصف مظاهر الجمال في بلده ورسم تصويراً امتزج فيه روعة الطبيعة بالحركة والحياة، فكانت الطبيعة ووصفها جزءاً من الحياة التي عاش فيها الشاعر، بحيث يمكن أن نعتبره شاعر الوصف لأنه «لم ير الأدب الفارسي بعد الفردوسي، الشاعر الحماسي الإيراني، شاعراً كـ«بهار» في وصف الوطن وتصوير مشاهدته». (أحمدى گبوي. ١٣٧٨ش: ٥٤)

استخدم الشاعر العناصر الطبيعية رمزاً لوطنه ويرجع السبب إلى الظروف المسيئة والأجواء المضطهدة في عصره، لهذه الأشعار مفهوم فوق ظاهره حيث يبحث الشاعر عن معانٍ كامنة تدل على وطنيته. يصف الشاعر في قصيدة «دماوندية» جبل دماوند بكل جزئياته ويستخدم عنصر التشخيص في التحدث عن هذا الجبل، ويرونا في وصف مشاهداته بملكته الخيالية التي أتاحت له تصوير هذا الجبل، في الحقيقة يرمز الشاعر إلى إيران والمكانة السامية لها فيخاطب دماوند وهو في الحقيقة يخاطب وطنه ويعبر عن المشاكل الوطنية في الصور الطبيعية، فيقول:

ای دیو سپید پای دربند ای گنبد گیتی ای دماوند
از سیم به سر یکی کله خود ز آهن به میان یکی کمر بند

(بهار. ١٣٨٠ش: ١٧١)

(أيها الجبل الأبيض المأسور وقبة الكون في الرفة؛ ويا جبل «دماوند» كأنك جندي متزود بالآليات العسكرية)

فالنقطة البارزة في قصائده هذه؛ أن شعره يخفق بالحياة والحركة ولا يخرج عن وصف مشهد إلا وفيه بيان لحبه ورمز لوطنه، فيمكن مشاهدة هذا الوطن في قصائد أخرى كـ«رود كارون» و«زاینده رود» و«تخت جمشید» فيصف الشاعر فيها تصويراً حسياً بارعاً يسير في جزئيات التصوير، وأما في ذكر المشاكل الوطنية وعوائقها فيتوجه الشاعر إلى المشاهد النفسية ويذكر مجد آبائه الذين حكموا البلد ويقف في كثير من المواقف لتصوير وطنه بامتداده في الفخر بالماضين، لأنه جرب الأحداث الجسام في سبيل وطنه فيريد بهذا تنبيه شعبه بغفلتهم عن استئصال أسباب الظلم والذل مذكراً إياهم بتمجيد الوطن:

خوشا مرز آباد ایران زمین خوش آن شهریاران با آفرین
دلیران ایران کجا رفته اند که آرایش ملک بنهفته اند

(نفس المصدر: ١٨٧)

أى (طوبى للأجواء الإيرانية وحدودها وطوبى للأجيال السالفة، فأين الرجال الباسلون الذين حكموا وقادوا بلادهم أحسن قيادة)

فجدير بالذكر أنه يغلب وصف المشاهد الوطنية حسيةً أو نفسيةً على شعر البارودي نتيجةً لنفيه واغترابه سبع عشرة سنةً من بلده، وزاد هذا النفي الطويل من شدة علقته بمصر، فيلفت النظر إليها بالوصف الحسى والنفسى. وأما «بهار» فيكثر عنده من المشاهد النفسية، لأنه يرى أن وظيفة الشعر تحريض الشعب وترغيبهم فى مشاركة شؤون المجتمع وتقرير مصير البلد لا وصف فحسب.

٤-٥- الخطاب الحماسى

ارتقى الشاعران فى الشعر الوطنى بالتعبير عن الوطن ارتقاءً رفيعاً إذ إنهما كانا بطبعهما محباً للحرية متمرداً على الظلم عاشقاً للوطن، فعبراً بكل ما أوتى من قوة وصلابة عن الوطن وقد أكثرا فى صرختهما من الجرأة والحماسة لاسيما فى مواقف الفخر بالوطن والتذكير بغفلة الناس.

أما بالنسبة إلى البارودي فعلى الوراثة والحياة التى نشأ الشاعر فيها لها أثر فى حماسية شعره و«لقد غذاها ما حفظه من شعر الحماسة والقوة عند العرب ورسخت هذه الصفات فى ذهنه». (الدسوقي. ٢٠٠٩م: ٦٢) يخاطب البارودي شعبه فى المواضيع المتعددة ويحضهم على النيل بطموحاتهم وبعدهم الهمة وقوة العزم فى سبيل وطنهم، فالخطاب الندائى خير وسيلة لبيان غرضه المنشود فيقول:

فَانْهَضْ إِلَى صَهَوَاتِ الْمَجْدِ مُعْتَلِيًا فَالْبَارُ لَا يَأُو إِلَّا عَلَى الْقُلُوبِ
وَدَعْ مِنَ الْأَمْرِ أَدْنَاهُ لِأَبْعَدِهِ فِى لُجَّةِ الْبَحْرِ مَا يُغْنِي عَنِ الْوَشْلِ
(البارودي. ١٩٩٨م: ٣٩٨/٢)

ويشجع الناس بالجد والشجاعة لعودة الأمن والغلبة على الدسائس والمكايد وما جنته على مصر:

لَا تَخَافُوا نَكَالًا فِيهِ مَنْشُوكُمْ فَالْحُوتُ فِي الْيَمِّ لَا يَخْشَى مِنَ الْبَلَلِ
لَا تَتْرَكُوا الْجِدَّ أَوْ يَبِيدُوا الْيَقِينَ لَكُمْ فَالْجِدُّ مِفْتَاحُ بَابِ الْمَطْلَبِ الْعَضْلِ
حَتَّى تَعُودَ سَمَاءُ الْأَمْنِ ضَاحِيَةً وَيَرْفُلُ الْعَدْلُ فِي ضَافٍ مِنَ الْحُلْلِ
(نفس المصدر: ٣٧٧/٢)

وفى موضع آخر يبنه بنى وطنه للثورة على الفساد فى الألفاظ الفخيمة والكلمات الثقيلة الدالة على فحوى حماسية شعره:

فَمَا لَكُمْ لَا تُعَافُ الضِّيمُ أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَزُولُ غَوَاشِيَكُمْ مِنَ الْكَسَلِ
وَتِلْكَ مِصْرَ الَّتِي أَفْنَى الْجِلَادُ بِهَا لَفِيفٌ أَسْلَافِكُمْ فِي الْأَعْصَرِ الْأَوَّلِ

١٥٢/ الشعر الوطني لدى محمود سامي البارودي وملك الشعراء بهار

(نفس المصدر: ٤٣٩/٢)

فاتخذ الشاعر هذا الأسلوب الجديد لشعره الوطني، فنادى بالثورة على الفساد للدفاع عن الوطن، ويرجع الروح الحماسية في شعره إلى العنصر الشركسي الذي أورثه حدة في المزاج وميلاً إلى الفروسية، مضافاً إلى البيئة المصرية التي عاش فيها وشاهد مشاكلها «فهناك عنصر خطير كان له أعمق الأثر وهو البيئة المصرية التي اضطرب في مشاهدتها وأحداثها القومية والسياسية». (محمد عويضة. ١٩٩٤م: ٥٧) إنه يكره الاستبداد والطغيان فانظر كيف يخاطب الحكام وفساد أمرهم في عهدهم:

يَا أَيُّهَا الظَّالِمُ فِي مُلْكِهِ أَعْرَكَ الْمُلْكَ الَّذِي يَنْفَدُ
إِصْنَعْ بِنَا مَا شِئْتَ مِنْ قَسْوَةٍ فَاللَّهُ عَدْلٌ وَالتَّلَاقِي عَدُوٌّ

(البارودي، ١٩٩٨م: ١٤٥/١)

تتبدى هذه الروح الحماسية لدى «بهار» في قوة الدلالة وشدة الجزالة، فيخاطب شعبه خطاباً يحرك مشاعرهم ويحضهم على اعتزازهم الوطني، إذ إنه اطلع على الموروث الوطني حين شاهد بلده في عصره وانهداره إلى التفرق فهو «يستمد من الفخر بالمآثر الماضية ويعود سبب فخره إلى اطلاعه الشامل على الموروث الوطني والعناية بالكتب الأدبية ومطالعة سيرة الأبطال» (زرقاني. ١٣٨٣ش: ٨١) فينادى أبناء بلده لما حدث لبلده مذكراً إياهم بالتاريخ السالف الغرماً مضافاً إلى مزج هذا التعصب الوطني بالمعتقدات الدينية والوطنية فيقول:

هان اي ايرانيان ايران اندر بلاست مملكت داريوش دستخوش نيكلاست
مركز ملك كيان در دهن ازدهاست غيرت اسلام كو؟ جنبش ملي كجاست؟

(بهار. ١٣٨٠ش: ١١٨)

أى (حذارأيها الإيرانيون؛ قد أصيبت إيران بالمصائب والرزايا، قد سقطت وهي محور الصدارة العالمية ومملكة «داريوش» الحاكم الإيراني في أيدي الأعداء والأجانب، فأين الحمية الدينية الوطنية وأين النهضة الشعبية)

يمكن ملاحظة هذا العنصر الحماسي وتبيين المسائل الوطنية بالطريقة الخطابية في قصائده التي يقصد الشاعر منها ذكر الهواجس الوطنية ومحاولته في تنبيه الناس، وفي قصيدة يأخذ على بنى وطنه ويأسف من غفلتهم أو تغافلهم عن مستجدات عصرهم:

اي ايراني خفتي و بگذشت بسی برخيز و به كار خويش بنگر نفسي
گر کشته شوی جز این مبادت هوسی كان خانه از آن توست نه زان کسی

(نفس المصدر: ٣٩٨)

أى (أيها الإيراني تنبّه عما غفلت مما حدث في بلدك وانهض إلى إصلاح أمورك وكن متهيأاً للقتال في سبيل الوطن وليكن هذا هو الغرض المنشود لديك لأن إيران تكون بيتك) فما أحاط به من محن وطنية دفعه أن يظهر ما يخالغ نفسه ويدور بخاطره فكان لهذه العوامل أثر كبير في خطاباته الشديدة والناظفة فيقول:

برادران رشید این همه سستی چراست؟ ایران مال شماست ایران مال شماست
این کشور کیست در دست عدو؟ این کشور ماست کشور ماست
(نفس المصدر: ٩٥)

أى (أيها الرجال لم تتهاونون في أمور بلادكم، فاعلموا أن إيران لكم، وسقط هذا البلد في أيدي المعاندين فأين ذوو البلاد لأن هذا البلاد لنا وأكرر مرات أن هذا الوطن لنا)

٤-٤-٤- الاتجاه الديني إلى الوطن

النظرة الدينية إلى الوطن ميزة هامة أخرى تشترك بين الشعاعين، لم يقف الشعاعان في بيان مشاكل وطنهما فحسب، بل انتقلا من الموضوعات الداخلية التي يعيش فيهما إلى عالم أرحب وأوسع وهو عالم يتحد في مكافحة المستبدين والمستعمرين، فالوطن الإسلامي لدى الشعاعين هو كل وطن له فكرة مشتركة وهي الصمود أمام الجبايرة والدفاع عن حريته واستقلاله واتحاده في المبادئ الدينية، لقد تأثر الشعاعان في هذا الاعتقاد بأفكار السيد جمال الدين الأسد آبادى لأنه «جهر بمبادئه في اتحاد المسلمين في أنحاء العالم لمقابلة المستعمرين وعبر عن العالم الإسلامي الكبير الذي يتحد في المبادئ الواحدة». (شميم. ١٣٧٥ش: ٨٥)

وأما البارودى فعندما اشتعلت الحرب بين تركيا وروسيا وحلفائها وتابعتها رومانيا ثم الصرب سنة ١٨٧٧م استنجدت تركيا مصر فأنجدها الخديوى إسماعيل بحملة عسكرية وكان البارودى من كبار ضباطها ولكن انتهت الحرب بهزيمة تركيا، ولما تفاقمت الأمور لم يتنح البارودى عن الذود عن شعب تركيا لأنه كان الوطن الإسلامي لديه فوق كل المصلحة الذاتية وفوق الأشخاص والأحزاب، فاستمد من شعره وندد الأعداء وصورهم بأبشع الصور القبيحة، وحاول أن يبذل شملهم ليسلى آلام الشعب التركى المسلمين، فيقول هذه الجماعة من البلغار و الروم و التاتار إذا اجتمعوا تكلموا باللغة الأعجمية كأن صوتهم دوى كهدير البعير وكأنهم خلّقوا من غير آدم (ع) فينشد قائلاً:

وَرَا حَمَهَا التَّاتَارُ فَهِيَ حُسُودُ	تَجَمَّعَتِ الْبُلْغَارُ وَالرُّومُ بَيْنَهَا
هَدِيداً تَكَادُ الْأَرْضَ مِنْهُ تَمِيدُ	إِذَا رَاطَنُوا بَعْضاً سَمِعَتْ لِصَوْتِهِمْ
لِغَيْرِ أَبِي هَذَا الْأَنَامِ جُنُودُ	قَبَاحُ النَّوَاصِي وَالْوَجُوهِ كَأَنَّهَمْ
فَتَعَرَفَ آبَاءُ لَهُمْ وَجُدُودُ	سَوَاسِيَةً لَيْسُوا بِنَسْلِ قَبِيلَةٍ

١٥٤ / الشعر الوطني لدى محمود سامي البارودي وملك الشعراء بهار

لَهُمْ صُورٌ لَيْسَتْ وَجُوهًا وَإِنَّمَا تَنَاطُؤُهَا إِلَيْهَا أَعْيُنٌ وَخُدُودٌ

(البارودي. ١٩٩٨م: ١/١٤٥)

أو عندما أخفقت الثورة العربية ووقعت مصر والسودان وملحقاتها وماكان تحت سيطرة مصر من البلاد الإفريقية في قبضة الاحتلال الإنجليزي؛ ندّد الشعب في هذه البلاد وكشف عن علل التفرقة والتشتت فيهم إذ إنهم كانوا مسببين لتبدّد اتحادهم وشملهم. فيقول إن الشعب في هذه البلاد المذكورة نافقوا و باعوا دينهم بثمان بخس وضلّوا عن طريقهم في الدفاع عن الوطن و نصرته و خدعوا وتمادوا في الغي وأصبحت الولاية المنيعّة الثابتة في هذه البلاد عرضة الضلالة والخديعة. فاستعمل الشاعر لفظة «وادي النيل» لهذه البلاد المذكورة لأنها كانت قد وقعت ضواحي مصر و نهر النيل فانظر كيف يخاطبهم:

أُنَاسٌ شَرَوْا خِيَزَى الضَّلَالَةِ بِالهُدَى نَفَاقًا وَبَاعُوا الدِّينَ مِنْهُمْ بِدَانِقِ
فَجَاؤُوا إِلَيْهِمْ يَنْصُرُونَ ضِلَالَهُمْ بِخُدَعَةٍ مُغْتَالٍ وَحِيَلَةٍ سَارِقِ
وَأَصْبَحَ وَادِي النِّيلِ نَهْبًا وَأَصْبَحَتْ إِمَارَتُهُ الْقَعَسَاءُ نُهْرَةً مَارِقِ
(نفس المصدر: ٣٧٧/٢)

وملك الشعراء بهار أيضاً أدار الحديث عن الوطن الإسلامي وتمثل هذا الوطن بمشاركة أبناء البلاد في كل ما ألمّ به من المشاكل والمصائب، «والمطلوب لهذا الوطن في شعر الشاعر هو التحريض وتشويق الناس على مطالبة حقوقهم، فهو في هذه الأشعار استطاع أن يمزج بين الموضوعات الشعبية والأدبية كما ينبغي». (شميسا. ١٣٨٨ش: ٣٢٨) فيخاطب الشاعر عامة الشرقيين مثيراً اتكالهم بالأصالة الشرقية الإسلامية التي تؤدي إلى اتحادهم فيقول:

توشرقى اى و به شرق اندرون كمالا تى است ولى چه سود كه غربت فريب تام دهد
به هر صفت كه برآيى برآى و شرقى باش وگر نه ديو به صد قسمت انقسام دهد
(بهار. ١٣٨٠ش: ٢٠٢)

أى: (أنت رجل شرقى وللشرق الأصالة العريقة والكرامة السامية ولكننى أتحسر عليك لأنك قد اغتررت بالغرب ومبادئه فكن على كل خصيصة وطابع لكنك حافظ على أصالتك التى تمنعك من التشتت و الافتراق)

فى رأى «بهار» أنّ الأصالة الشرقية والرجوع إلى الثقافة العريقة تقرب الناس من روح العالم الواحد، أضف إليها التمسك بالمعتقدات الدينية لديه وهو رمز يؤدى إلى الوحدة بين البلدان المختلفة، يظهر الشاعر هذه العقيدة فى موقف ويجعل للدين عاملاً بناءً فى وحدة

البلاد ويقول إن اتحاد البلاد الدينية هو رمز نجاح الأمم من تدخل المستعمرين، فهو بتأثره بالسيد جمال الدين الأسدآبادي يبحث عن العالم الإسلامي الكبير:

هند وتركيه ومصر وايران تونس وفاس وقفقاز وافغان
در هويت دو واما به دين يك جان مختلف تن ولى متحد

(نفس المصدر: ٣٧١)

أى: (تختلف البلاد المختلفة من هند وتركيا ومصر وايران وتونس وفاس وقفقاز وافغان في عناصرها ولكنها تتحد في المبادئ الدينية و الروح الإنسانية) ويمدح «باكو» التي تتحد مع ايران في المبادئ الأساسية ويقول إن الاقتراب الثقافي والديني جعلنا كأمة واحدة فيقول:

خاك باكو وطن و مامن دينداران بود اندر آن عهد كه بر شرق گذشت اسكندر
خاك باكويه عزيز است وگرامي بر ما كه زيك نسل و تباريم و زيک اصل و گهر
(نفس المصدر: ٢٤٧)

أى: (كانت باكو في زمن «إسكندر» مأمناً ذوى الدين، فهذا البلد محببٌ لدينا إذ إننا من جيل واحد وترجع أصلتنا إلى أصل واحد)

نتائج البحث

١- إن محمود سامي البارودي وملك الشعراء بهار عملا على بث الروح الشعرية القديمة والمحافظة على الموروث الشعري مراعاةً للوظيفة الاجتماعية والسياسية للشعر فأخذ الشاعران هذه الصور والألوان القديمة على أنها رموز للتعبير عن معالم نفسية تلاءمت مع الشعور المسيطر في تلك الفترة والتوق إلى الماضي ومجدهما، والتعلق بكل ما يتصل بهما.
٢- لقد كانت تجربة البارودي وبهار في الحياة طافحة بالاحداث الجسام، الشيء الذى يلفت الانتباه إليه صراحة وطنية تتطلبها ضرورة الموقف والزمن وتشتمل صراحتهما الوطنية على كل ما يرتبط بالوطن؛ من دفاعهما عن الوطن وتحريض الشعب حتى إنذار الحكام وتنديدهم، النقطة البارزة في صراحتهما أنه ليس فيها شيء من السخرية والهزاء وليست توحى بالخشونة والحقد.

٣- الوحدة العضوية من ميزات القصيدة المعاصرة التي ظهرت على يد خليل مطران. من الميزات المشتركة لدى الشاعرين اتسام قصائدهما الوطنية بهذه الخصيصة المعاصرة حيث برزت في قصائدهما، فقد تطرق الشاعران إلى موضوعات مختلفة تدور كلها حول الوطن فتكون أجزاء القصيدة كالبنية في العلاقة بين الموضوعات المتعددة والوطنية التي ترتبط بين الأبيات، فيشكل الوطن موقفاً واحداً يسيطر على روح القصيدة الوطنية في شعرهما.

١٥٦/ الشعر الوطني لدى محمود سامى البارودى وملك الشعراء بهار

٤- اتسم الشعر الوطني لدى الشاعرين بالروعة التصويرية، فيمتاز تصويرهما بالحركة والحيوية الدافقة كما يتميز شعرهما فى مشاهداتهما بالخيال التفسيري والخيال التأليفي أو الابتكاري. غير أنه يغلب وصف المشاهد الوطنية حسية أو نفسية على شعر البارودى نتيجةً لنفيه واعترايه سبع عشرة سنةً من بلده، وأما «بهار» فيكثر عنده من المشاهد النفسية، لأنه يرى أن وظيفة الشعر تحريض الشعب وترغيبهم فى مشاركة شؤون المجتمع وتقرير مصير البلد.

٥- اتخذ الشاعران الخطاب الحماسى كخير آلية من الآليات التحريضية لقضية الوطن، فعبراً بكل ما أوتيا من قوة وصلابة فى الوطن وناديا بالثورة على الفساد والدفاع عن الوطن. فيمكن ملاحظة هذا العنصر الحماسى بالطريقة الخطابية فى قصائدهما. ولكن شغلت هذه الخصيصة حظاً كبيراً فى الموضوعات الوطنية للبارودى، ويرجع السبب إلى الحياة العسكرية التى نشأ الشاعر فيها والعنصر الشركسى الذى أورثه حدة فى المزاج وميلاً إلى الفروسية، أضف إليها حفظٌ كثيرٌ من الأشعار الحماسية عند العرب حيث رسخت هذه الصفات فى ذهنه.

٦- الاتجاه الدينى الوطنى خصيصة أخرى اشتركت بين الشاعرين، لقد تأثر الشاعران فى هذا الاعتقاد بأفكار السيد جمال الدين الأسد أبادى الذى جهر بمبادئه وتطلعه إلى وحدة المسلمين فى أنحاء العالم لمقابلة المستعمرين فانتقل الشاعران من الموضوعات الداخلية إلى عالم يتحد فى مكافحة المستبدين والمستعمرين. لكن بهار يكثر من استعمال هذه النظرة ويستمد من العناصر المختلفة كالأصالة الشرقية و اللجوء إلى المعتقدات الدينية و الثقافية، ويعود السبب إلى تأثيره العميق بمعتقدات السيد جمال الدين الأسد أبادى.

المصادر والمراجع

ألف) الكتب العربية

- ١- الحديدى، على. محمود سامى البارودى شاعر النهضة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢.
- ٢- الدسوقي، عمر. محمود سامى البارودى، القاهرة: دارالمعارف، ط٣.
- ٣- -----، فى الأدب الحديث، ج٢، القاهرة: دارالفكر.
- ٤- سامى البارودى، محمود. (١٩٩٨م). ديوان البارودى، ج١، بيروت: دار العودة.
- ٥- ----- . (١٩٩٨م). ديوان البارودى، ج٢، بيروت: دار العودة.
- ٦- الشايب، أحمد. (١٩٨٨م). أصول النقد الأدبى، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط٣.
- ٧- ضيف، شوقى. (د.ت). الأدب العربى المعاصر، القاهرة: دارالمعارف.

٨- -----، (١٩٦١م). البارودي رائد الشعر الحديث، القاهرة: دارالمعارف، ط٢،
٩- عبدالحميد مرashedة، علي. (٢٠٠٩م). في الشعر الحديث، إربد: عالم الكتب الحديث،
ط١،

١٠- غنيمي هلال، محمد. (١٩٨٢م). النقد الأدبي الحديث، بيروت، لبنان: دارالعودة، ط١،
١١- كردعلي، محمد. (١٩٩٣م). المعاصرون، بيروت، لبنان: دار صادر، ط٢،
١٢- محمدعويضة، محمد. (١٩٩٤م). محمود سامي البارودي إمام الشعراء، بيروت، لبنان:
دار الكتب العلمية، ط١.
١٣- مكي، الطاهر أحمد. (١٩٧٧م). الأدب المقارن أصوله تطوره ومناهجه، القاهرة، مصر:
دارالمعارف.

ب) الكتب الفارسية

١٤- أحمدى گيوى، حسين. (١٣٧٨ش). ستايشگر ميهن وآزادى، تهران: قطره.
١٥- إسلامى ندوشن، محمد علي. (١٣٨٣ش). از رودكى تا بهار، الجزء الثانى، تهران:
نغمه زندگى.

١٦- بهار، محمد تقى. (١٣٨٠ش). ديوان الأشعار، تهران: طوس.
١٧- زرین كوب، عبد الحسين. (١٣٧٣ش). باكاروان حله، تهران: منشورات علمى، ط٣،
١٨- سپانلو، محمد علي. (١٣٧٤ش). بهار، تهران: طرح نو، ط١،
١٩- شفيعى كدكنى، محمدرضا. (١٣٧٨ش). ادوار شعر فارسى، تهران: سخن.
٢٠- شميسا، سيروس. (١٣٨٨ش). سبك شناسى شعر، تهران: ميترا، ط٤،
٢١- شميم، على اصغر. (١٣٧٥ش). ايران در دوره سلطنت قاجار، تهران: مدبر، ط٧،
٢٢- صبور، داريوش. (١٣٨٢ش). بركران بيكران، تهران: سخن، ط١،
٢٣- عابدى، كاميار. (١٣٧٦ش). به ياد ميهن، تهران: ثالث، ط١،
٢٤- قادري، حاتم. (١٣٨٣ش). اندیشه های سياسى در قرن بيستم، تهران: سمت.
٢٥- مسكوب، شاهرخ. (١٣٧٩ش). هويت ايرانى زبان فارسى، تهران: پژوهش فروزان
روز.

ج) المقالات

٢٦- أبوسنة، محمد إبراهيم. (٢٠٠٩م). محمود سامى البارودى والطبيعة المصرية،
الكويت: المجلة العربية للانسانية، العدد، ٢٩٢
٢٧- إسماعيل، سميح محمود. (٢٠٠٣م). الفتوة فى شعر البارودى، أردن: دراسات العلوم
الانسانية والاجتماعية، العدد، ٢

۱۵۸ / الشعر الوطني لدى محمود سامي البارودي وملك الشعراء بهار

- ۲۸- زرقانی، سید مهدی. (۱۳۸۳ش). بهار و تعامل با سنت و تجدد، مشهد: مجلة الأدب والعلوم الانسانية، العدد، ۱۴۶
- ۲۹- سلیمی، علی و صالحی، ییمان. (۱۳۹۰ش). بررسی بازتاب عشق به وطن در شعر بهار و ابراهیم طوقان، جیرفت: مطالعات ادبیات تطبیقی، العدد ۱۵.

فصلنامه لسان مبین (پژوهش ادب عربی)
(علمی - پژوهشی)
سال چهارم دوره جدید، شماره دهم، زمستان ۱۳۹۱
شعر وطن در اشعار محمود سامی بارودی و ملک الشعراء بهار*

مجید صادقی مزیدی
دانشجوی دکتری دانشگاه اصفهان
منصوره زرکوب
دانشیار دانشگاه اصفهان

چکیده

دوران معاصر شاهد تغییراتی بنیادین در دو کشور مصر و ایران بود، از مهمترین آنها جنبش احیاگرانه سیاسی-اجتماعی است که در زندگی و دوران جدید این دو کشور ظهور کرد و باعث شد ادیبان نیز با موضوعات زمانه و سرنوشت ملت خود همگام شوند.

از برجسته ترین شاعران این دوره می توان به «محمود سامی بارودی» و «ملک الشعراء بهار» اشاره کرد. در این گیر و دار سیاسی و اجتماعی جدید؛ موضوعاتی نو شکل گرفت که موضوع وطن را در رأس مضامین مشترک دو شاعر قرار داد. بنابراین شعر وطنی آنها دارای ویژگیهای است که در برخی موارد با یکدیگر مشابهت دارند. اما مهمترین ویژگیهای متمایزکننده شعرهای وطنی دو شاعر مذکور عبارتند از: انتخاب اسلوب زبانی کلاسیک و روش قدیم ادب به عنوان شیوه ای ثابت در قصیده های شعری و وحدت موضوعی بگونه ای که وطن در قصائد آنها به دیدگاهی غالب بدل شده است؛ چنانکه دو شاعر اندیشه های وطنی خود را با صراحت بیانی مطرح می کنند تا احساسات قومی مردم را برانگیزند و علاوه بر آن در مواضع فخر به وطن و یادآوری ایام غفلت؛ مردم را با لحنی حماسی مخاطبه کنند؛ اما درباره زیبایی تصویری در شعر حسی، به خیال تفسیری و در شعر عاطفی به خیال ابتکاری روی آوردند. هر دو شاعر در زمینه پرداختن به وطن دینی از اندیشه سید جمال الدین اسد آبادی؛ یعنی مقاومت در برابر ستمکاران و دفاع از آزادی، استقلال و اتحاد متأثر گشته اند. این تحقیق به شیوه توصیفی-تحلیلی با تمرکز بر شعرهای وطنی دو شاعر، تأثرات جنبش احیاگرانه بر دو کشور و شعر دو شاعر را نشان می دهد.

کلمات کلیدی

محمود سامی بارودی، ملک الشعراء بهار، ادبیات تطبیقی، شعر حدیث، ویژگیهای شعر وطنی.

* تاریخ دریافت: ۱۳۹۱/۰۷/۰۴ تاریخ پذیرش نهائی: ۱۳۹۲/۰۱/۲۹

نشانی پست الکترونیکی نویسنده: www.majid.sm39@yahoo.com